رسالة مكسيموس الحكيم

هُني بنشرها حضرة القس جرجس منش الماروني الحلبي

توطئة

ما كاد برتقي سليفروس القبرصي سدّة البطريركية الانطاكية حتى اثار جذوة الاضطهاد على الشعب الكاثوليكي وبذل اقصى جهده وعنايته في ان يستأصل منهُ العقيدة الكاثوليكية فتفنّن ما شاء التفنن واتى ما فتئت لهُ فكرتهُ من ضروب الحيل والقسوة في عود قومهِ الى الشقاق حتى ظنَّ جهلُ اهل القرن الثامن عشر ان الكثوليكية كادت تمّحي من صدور ابناء الطائفة الملكية الكريمة لولا الله العزيز يتداركها بلطفٍ من علائهِ ويسدّد خطاها ويشدّد عزائمها في ذلك المترك الهائل والاضطراب المستدّ الصدى

وفي سنة ١٧٢٥ اصدر هذا البطريرك خلاصة ايمان ضمّنها « انكار القضايا الخمس وقاعدة الكلام الربّاني في الاسرار ». وحمل الناس على تلاوتها وكل من ابى الاعتقاد بما فيها دفعهُ ليد القضاء حتى غصّت السجون باولئك الاشراف الاماجد وهبَّ حينئذٍ العلّامة عبدالله زاخر الى تفنيدها بكتابٍ سماهُ « البرهان اليقين على فساد ايمان المشاقين » واضطُرَّ بعدهُ ملكية حلب الى تأليف « اخوية لنصرة الايمان الكاثوليكي » من « روساء ومتقدمين . روساء عشرات كلهم متصفون بالغيرة نحو نصرة الايمان المقدس منهم عشرة انفار ورؤوس على الجميع » انتهى بعضهُ مما رواهُ مؤرخو الرهبانية الشويرية الجليلة

وقد كان يترتب على كل فرد من هذه الاخوية ان يتلو « صورة الايمان الكاثوليكي » دلالةً على اقراره به وقد نشر هذه الصورة حضرة الاب لويس شيخو في مشرقهِ الاغرّ (١٥ : ٦٥٧ وما يليها) فعارضهُ حضرة الخوري قسطنطين الباشا في نسبتها الى عبدالله زاخر مدعياً انها من تأليف مؤسس الرهبانيّة المخلصية المطران اثنيسيوس الصبغي (المشرق ١٦ : ١٠٦) على ان ما اعتمد عليهِ حضرتهُ فيما ارى لا يسند مدّعاهُ ولا ينفي كل اعتراض عنهُ . . . ولعل صاحب المشرق الفاضل يعثر في المخطوط الذي اخذ عنهُ « صورة الايمان » على قوانين تلك الاخوية (١ وهي اذا وجدت فهو لا محالة من اشارة الى تلاوة تلك الصورة او الخلاصة الكاثوليكية

ولا ريب في ان هذه الاخوية قد بلغت ما قدّرتهُ من الانتشار والازدهار بفضل عناية الحبر الاروع الخطير المطران مكسيموس الحكيم وقد وجّه اليها في سنة ١٧٢٣ رسالة ضافية اثنى فيها على نشاطها وغيرتها وحضّها على مواصلة اعمالها وملازمة الثبات في مناهجها القويم واكثر لها فيها من عبارات التجمّل والتنزية على ما تحملهُ افرادها من ضروب المشاقّ والمغارم في سبيل نصرة

١) لم نجد هذه القوانين في المخطوط المذكور (المشرق)

الايمان الكاثوليكي . وهذه الرسالة الجليلة تدلّ على ما كان عليه ذلك الحبر العظيم من الرسوخ في التقى وسائر الفضائل السامية والتشبّع من الروحي وآيات الاسفار المقدسة ولعلي اعود في فرصة اخرى الى نشر ما اتصل بي من اعماله ومحامده ان شاء الله

(20) من مكسيموس مطراننكم وخادمكم الى الرعية المقدسة ، الاخوية الكاثوليكية ، جزيل البركات السموية والارضية

انهُ لمن الواجب ان يتبع الاجناد قائدهم وان (21) يتشبه الجيش بالاناس الاتقياء من معسكرهم . وفي هذا اوصى الرسول المؤمنين ان يتشبهوا به كما تشبّه هو بالمسيح . وانهُ لمستحب ومستحسن ان يتذكر الجيش في معركة الكفاح الحالة التي سلكها قائدهم واسلافهم لكي يسلكوها هم ايضاً كونها هي الحالة المستقيمة التي توصل تابعيها الى الغلبة باعدائهم . فمثل هذا التذكار هو حميد ومفيد جدًّا لنا الآن نحن المحاربين ضرورة في ميدان هذه الهيجاء . لانهُ اذ قد تحقّقنا بحقيقة الايمان ان الله قد اختارنا بسيدنا يسوع المسيح الذي جعلهُ لنا رأساً ورئيساً ابديًّا يدوم معنا بشخص نائبه الحبر الاعظم ذي الرئاسة المطلقة . وصيّرنا به جسداً مقدساً منتظماً في كنيسته التي هي امّنا كلّنا واشركنا باعضائه المختارة الذين شاركوا آلامهُ وسألنا اخوتهُ واخوة بعضنا بعض (22) وبموجب هذا الاستحقاق العظيم الذي خصّصنا به الهنا الجواد بيسوع المسيح ربنا وقائدنا . وقد اعدَّ لنا حيوةً ابدية سعيدة ان نحن قفوناهُ وتبعنا اثر خطواتهِ . فيا ما اعظم حظّنا واسعدهُ ان نحن سلكنا هذه الطريق الضيقة الامينة التي سلكها قائدنا الحقيقي يسوع المسيح مخلصنا . وقد تبعهُ بها اسلافنا في ميدان الجهاد المقدس والآن قد حظوا به متكللين

فلننظر الان ايها الاخوة المحاربون كيف كانت حيوة قائدنا . وفي اي حالة تقضّت وما هي الطريق التي سلكها بها . فمن المعلوم ان جميعكم تجيبون بما شهد به الانجيليون انهُ تعالى اتى لكي يقبل الآلام . واذا تصفّحنا حالات حياته فاننا نراها قد تقضّت بفقر مدقع (مدقع) مذيب واتعاب مختلفة متزايدة وغربة مديدة متطاولة واضطهاد شديد مقلق وافتراء محض مزعج (23) وضيقات متنوعة متتابعة وآلام موجعة تتّالة واخيرًا انتهت بموت شنيع مهين جدًّا . فهذا بعضُ البعض من المتاعب

التي عاناها معلمنا وقائدنا في طريق حياته المقدسة . وبهذا غلب العالم والقى اركونهُ الى الخارج وقام غالباً ظافرًا بمجد ربوبي

هكذا اخوتنا الاتقياء ارباب هذا الجيش المقدس الذين جاهدوا المالك بصير وشهامة . وقد اجازوا كل حياتهم وهم ساعون على الرجاء المكين واحتملوا العذابات الفادحة والميتات المتنوعة تبعاً لقائدهم لكي يماثلوا حياتهم بحياته . واخبارهم تشهد لهم على ما صابروهُ من الاتعاب الشاقة والاوجاع الناكية . وبمثل هذه الحال المؤلمة المحتقرة قد حصلوا غالبين وصاروا فائزين وقهروا اعداءهم الذين هم الجسد والعالم والشيطان . والآن هم في السماء مكللون مع سيدهم (24) الذي غلب وجلس على كرسي ابيه . ووعد لكل من يغلب ان يُجلسهُ معهُ على ذلك الكرسي الذي هو المجد الابدي

كذلك امنا الكنيسة المحاربة ايضاً قد تجاهد مقابل المضطهدين دائمًا وتقاوم ظلمهم وكفرهم وتحاربهم بتعاليمها المستقيمة . وقد طردت الذئاب المفسدة بصبر مقدس وقطعت بكلمة الحق كلّ باطلهم وهذيانهم . ومع ذلك كانت تتفداهم (تفتادهم) وترشدهم وتقبل الضالّة منهم بفرح وهشاشة . ولم تزل مستعدّة لمحاربة العالم واراكنته الى استقبال الراجعين اليها لانها امٌ حقيقيّة . ومن شيمها التربي والاحتمال وطرد المضلّ والضال . وبهذا تربي اولادها وتظفر غالبةً بمن يحاربها كما فعلت ولم تزل فاعلة

فها هوذا يا اخوتي قد اوردتُ لمحبتكم مختصر (جزء) الحالات التي قضى بها حياتهُ قائدنا واخوتنا الاتقياء . وها قد اوضحتُ بايجاز الطريق التي سلكوها والغاية التي حصلت لهم منها . ولمّا كنّا نحن معهم جيشاً واحدًا في حضن امنا الكنيسة الجامعة المتحدون (متحدين) بها بايماننا العامّ المقدس وصرنا اعضاء هذا الجسد الوحيد المبتاع بالدم الكريم وحصل يسوع المسيح رأسنا وقائدنا . فقد لزمنا ان نتألم معهُ لكي نملك معهُ كما فعل اخوتنا الذين تقدمونا . ومن الواجب ان تتألم الاعضاء مع رأسها وتحارب معهُ لكي تظفر بظفره وحينئذٍ تتملك معهُ . ولهذا يقول الرسول الالهي (٢ كور ١ : ٧) : ان كنتم شركاء الآلام فستكونون شركاء المجد ايضاً » . فهكذا يجب علينا ان نتذكر حيوة مخلصنا الذي هو رأس ايماننا . ونتبع اثر خطواته

في الجهاد المنصوب لنا . وفاتل القديسين الذين تقدمونا . لان « كل الذين (26) يعيشون بتقوى بهِ سيُضطهدون » (٢ طيموثاوس ٣ : ١٢)

.ولقد سمعت بما حركهُ عليكم الاعداء الذين يريدون يَرْأسوكم ويتسلطوا عليكم لا لكي يفيدوكم بتعليمهم ومثلهم حقائق الايمان والاعمال الصالحة بل لكي ينتقموا منكم ويظلموكم ويشقُّوكم ويقدّموكم الى الحكام والولاة تقدمة ظالمة ويسلبوا اموالكم ويتلفوا ديانتكم ان قدروا . والذي سبق من اعمالهم يعلمنا بما هو عتيد ان يفعلوهُ

وقد بلغني ايضاً ما اظهرتموهُ من الشجاعة المقدسة والغيرة المسيحية اللائقة بابناء الكنيسة الحقيقيين الذين يحمون عرض أمّهم . اعني حرية الايمان الكاثوليكي المستقيم وهذا من الواجب ان يُفضَّل على خيرات العالم باسرها حتى وعلى هذه الحياة ايضاً . وقد سرَّني هذا الاضطهاد الجديد الذي تقدّم بهِ لله مجدًا واكراماً (27) وللكنيسة شرفاً وبهاء وللقديسين سروراً وابتهاجاً وللمؤمنين تمكيناً وثباتاً وللشياطين خزياً وعذاباً وللاعداء توبيخاً وعاراً . حقًّا يا اخوتي انني لما تأملت مثل هذه الخيرات المعتبرة عندي لعظم قيمتها الجزيلة جدًا سُررت مغتبطاً واشتهيت ان اكون حاضرًا معكم بجسدي كما انا حاضر عندكم بروحي لكي اشترك بمثل هذا الشرف الرفيع . الّا ان الله قد رأى لنا رأينا افضل صواباً حيث لم يرد ان اكون عندكم لئلا يثقل عليكم امري . ولكن في هذا كفاية لتعزيتي ومسرَّتي ان اسمع عنكم بانكم مجاهدون ومستعدُّون للجهاد ايضاً . وهذا الفرح المقدس قد فعل بي فعلًا هذا حدهُ حتى اني فرحت ايضاً بخسارة الاموال التي أُصرفت بمثل هذا الجهاد الحسن . لاني سمعت الرسول الطوباوي يمدح الذين صبروا على اختلاس اموالهم بفرح (28) . ولهذا انا امدحكم ايضاً لانكم دفعتم اموالكم فدية عن ايمانكم بفرح . ولتعلم محبتكم باوكد الايقان انهُ قد حصل لكم بدفع هذه الاموال اجرًا عظيماً (اجرٌ عظيم) اعظم من الذي يعتبر كنيسة في هذه البلدة . لان هذه الاموال قد أُعطيت لاجل ثبات الايمان وعمارة الكنيسة المتنفسة التي هي جماعة المؤمنين بالمسيح واعضاء جسدهِ المقدس . ومن المعلوم ان عمارة المؤمنين لأفضل

شرفاً من عمارة مجامع المؤمنين. لان هذه غايةٌ وتلك واسطة لهذه. والغاية اجلُّ واعظم من الواسطة بأضعاف

فلهذا سرّوا ايها الاخوة المكرمون بالخير الذي انشأهُ الله بكم واقامهُ بجهادكم. ولا تحزنوا لاجل تلاف (تَلَف) الاموال الزائلة التي لا بدَّ لنا ان نتركها وتتركنا هي ايضاً ثم يتسلّمها غيرنا ويتلفها وربما في طريق غير صالحة. بلِ ابتهجوا واجذلوا (29) بالخيرات الراهنة التي سيعطيناها ربنا يسوع المسيح اذا غلبنا كما غلبَ. فلنجاهدنَّ اذاً بطمأنينة ولنسعَ بهذه الطريق المستقيمة المؤدّية الى حيوة الابد. ولا نشفقنَّ على شيء ارضيّ بل نشفق على مخلّصنا الذي سفك دمهُ لاجلنا وهو يطلبنا اليهِ لكي نتبع اثر خطواتهِ ساعين في هذه الطريق التي هيّأها لنا بهذه الايام منّةً جليلة منهُ تعالى. لانهُ يعلم كل شيء ويعلم بالذي هو انفع لخلاصنا ويدبرهُ بمشيئة صالحة. فلنقبلهُ نحن بشكر وارتضاء ونجدَّ في طلبهِ بفرح واجتهاد ساعين في الجهاد المنصوب لنا منهُ لمنفعتنا وربح الخلاص الابدي

ولكنَّ هذه السبيل القصيرة ونحن حاملون عارهُ بافتخار متدرّس عالمون انهُ بهذا يرضى بنا وعلينا. وان شاء فانهُ يغنينا وان كنّا فقراء. وان سمح فانهُ يفقرنا ولو كنا اغنياء. وقد نرى مثل (30) هذا باعيننا كل يوم ونعرفهُ جيداً. ولقد نعلم ان الله العادل قد دبّر هكذا وهو ان اناساً اغنياء قد اجتهدوا ان يحموا مالهم بديانتهم واتلفوها خوفاً على مالهم. فاهملهم الله واتلفوهما كليهما. وقد خسروا الدنيا والاخرى معاً

فاعتبروا بمثل هؤلاء الذين ليس لهم همٌّ واهتمام الّا بما هو ارضيٌّ. ويختصّ بالتدبير العالمي فقط فمثل هذا الاهتمام الردي الذي يشونهُ هؤلاء تدبيراً ليس هو تدبيراً بل إدباراً ودَبَاراً. وهو رأي الاناس الاشرار خدّام هذا العالم الباطل الكذّاب لا المسيح. اما انتم يا اولادي الاحباء فلا تهتمّوا بالعالم ولا فيما للعالم الخدّاع بل اهتموا فيما للرب الصالح الصادق في مواعيدهِ ووعيدهِ واجتهدوا في حماية الايمان الكاثوليكي المستقيم الذي بدونهِ لا يرى احد ربّنا يسوع المسيح (31) واستعدّوا لمحاربة اعدائهِ دائماً بنيّة مستقيمة صالحة. كونوا حكماء في تصرّفكم الجيد لا بروح العالم المضلّ بل بروح المحبة والاخلاص بروح الفطنة والشجاعة بروح

الغيرة والسلامة الباطنة كونوا حكماء مع الخارجين عنكم وودعاء مع بعضكم بعضاً وروح الرب يحلُّ فيكم ويرشدكم في كل عمل صالح . لا تخافوا الاشرار بل خافوا الرب وحدهُ وتمسَّكوا بايمانهِ تمسكاً حسناً واحفظوا وصاياهُ حفظاً جيداً . وهو يرد اعداءكم على اعقابهم ناكصين ويضاعف عليكم الخيرات الروحية والجسدية . وانا ابتهل اليهِ تعالى في شأن ثباتكم وتمكينكم وان يكون معكم وينميكم ويكثركم ويرشدكم حافظاً (لكم) في الطريق المستقيمة المؤدية الى حياة الابد . حيث قائدنا واخوتنا المجاهدون امين

(32) سلّموا على كل اخ بالمسيح من الكهنة والعوام شركاء ايماننا المستقيم . يسلّم عليكم اخينا (اخونا) الخوري نيقولاوس الرئيس المكرم . وكل جماعة الرهبان الاتقياء مع ولدنا الشماس عبدالله التقي . وكل الذين عندنا يقرأونكم السلام . والنعمة والبركة مع جميعكم امين

سُطرت بدير ماري الياس النبي (بقرية المحيدثة من ناحية المتن بلبنان) في اليوم الـ ١٤ من شهر آب سنة ١٧٣٣ م

خاتمة

وهي المرَّة الاولى التي يُنشر فيها شيء من رسائل المطران مكسيموس وقد ظفرت بنسخة منها بخط شماسهِ لاونديوس سالم الحلبي فهو ادعى الى الثقة بهِ والاعتماد عليهِ فيها لانهُ نقلها فيما يظهر عن نسخة مؤلفها الجليل والنسخة حسنة الخط تقع في ٣٩٦ صفحة من القطع الثمن الصغير . والرسالة جليلة القدر جزيلة الفوائد لما حوتهُ من ايات التعازي والمراثد ومؤلفها الحكيم كاتب عارف باصول اللغة العربية وما فيها من الخفرات لا سيما في تعدية بعض الافعال واستعمال بعض الالفاظ متنفَّر لهُ اذا علم المطالعُ قصور يد كاتبها في عهدهِ عن الوصول الى وسائل التدقيق المتوفرة في هذا العصر

واما « الاضطهاد الجديد » الذي اشار اليهِ في خلال الرسالة فهو ان سلبستروس السابق الذكر كان ارسل الى حلب بعد رحيله عنها وكيلاً عنهُ واهباً يدعى « حبيب الاعور » في ٢٠ تموز سنة ١٧٣٣ فنهضت الفتنة الكاثوليكية او « الاخوية الكاثوليكية » الى مقاومتهِ حتى تمكنت من طردهِ وابقاء الكنيسة في حوزتها بعد ان انفقت على ذلك ثمانية الاف وخمس مئة غرش وهي تعادل خمسة واربعين الف قرش من النقود الدارجة اليوم

وكان سلبستروس هذا اعاد حلب الى ولايتهِ البطريركية بامر سلطاني في اواسط سنة ١٧٣٢

بعد ان خلصت منها ربقة سلطانه الجائرة بخط سلطاني ايضاً في مناوي سنة ١٧٣٠ فلما تمكنت الثلة الكاثوليكية من إبعاد ابن الاعور فصلت حلب عن سلوقية في سنة ١٧٣٦ واعادتها الى عهدة مكسيموس مؤلف الرسالة المنشورة بتوسط والي حلب وقاضيها فعاد اليها راعيها الحكيم في سنة ١٧٣٦ بعد ان قضى في لبنان ثلث سنين وقد انفقت هذه الثلة على ذلك سبعة الاف وخمس مئة غرش وهي تساوي اربعين الف فرنك من نقود اليوم

فيكون جملة ما انفقتهُ ٢٥٠٠ ليرة فرنسوية وهو بعض ما تكبدتهُ من المشاق والمغارم في سبيل الايمان الكاثوليكي جزاها الله جزاء الخير وخير الجزاء

واما الذين اشار المطران اليهما في آخر رسالته فهما الخوري نقولا الصائغ والشماس عبدالله زاخر اثابهم الله ونوّل ثراهم بوابل الرحمة والرضوان انهُ سبحانهُ اللطيف الكريم

المناعة

محاضرة لجناب الدكتور حبيب افندي الدوعري القاها في ندوة جمعية الاطباء والصيادلة في غرة نيسان

المناعة مسئلةٌ حيوية صعبة المراس كثيرة التشعُّب لم تزل وقفاً على البحث ولن تزال كذلك ما دامت في حيّز الحدس والافتراض من حيث تعليلها واستجلاء خفاياها والسبب ان مجهولات جمّة تعترض الباحثين في حلّها وكلّما كُشف عن واحدة تقوّض شيء من بناء النظريّة المعوّل عليها في شرح المناعة وتعريف اعمالها . فاذ ذاك تقتضي الحال تشييدَ نظريّة جديدة تنطبق على المعارمات الحديثة التي فاز بها العلم على يد العلماء الدائبين في استخراج مكنونات البيولوجيا

والبرهان ان شارحي المناعة ذهبوا في شروحهم ونظرياتهم مذاهب شتى ليس لي في هذه الوقفة ان آتي عليها كلّها بل انني اقطع بكم كل هذه المراحل المهجورة على قطار سريع فلا نقف حتى نَلج المحطّة الكبرى اعني بها نظريّة العلّامة إهرليخ (Dr Ehrlich) وهي التي استهوت طلّاع هذه المباحث وأرضت شروحها جماعة المنقّبين عن حقيقة المناعة وحركة آلاتها